

وفود العرب على كسرى لأستاذ جليل

الشاعر الناثر الأستاذ محمد عبد الفتى حسن في مقاله اللطيفة (الخطابة بين الحرب والسياسة) في الرسالة (٥٢١) ص (٥١٠) يشير إلى قصة (وفود العرب على كسرى) ويستشهد بكلام للحارث بن ظالم دليلاً على حذق الخطيب وسرعة خاطره . ولا ريب في أن الأستاذ قدّر في نفسه صحة الحكاية . والحق — والحقيقة إن ساءت سرت — أن هذا الخبر الذي أورده ابن عبد ربه في (العقد) وصاحب (تحفة الإخلاء) في كتابه أسطورة مصوغة . وقد كان هذا الضيف أول من عاين بصرخ الخبر فقال سنة (١٣٤٣) :

« ... وإن كتب العلم لتنبئنا بأن الرواة كانوا يتقربون إلى الخلفاء والسلاطين والنبياء في الدولة برواياتهم ، فكانوا يضمنون الأحاديث ، ويختلفون ما لم يكن ابتغاء خير يأملونه عند من يحملون سلمتهم الأدبية إليه أو أجل تبريزهم على أقرانهم برواية قول أو شعر استبدواهم بمعرفته . وربما صاغ العلماء والأدباء الحديث لينصروا مقالة لهم أو نحلة ،... وعُدّ من الموضوع أيضاً مقالة النعمان في التضح عن أحساب العرب وكلام الذين أوفدهم ابن ماء السماء إلى سلطان فارس فإنه مزور مخترق لم يقله النعمان ولا جماعته ولن يستجروا على مثله ، ولن يجوز العقل أن يقعد ابن الأكاسرة لاستماع ثرثرة كل مهذار نقّاج^(١) ويفرغ لشهود هجرته التعجرف وعنجهيته . ومن الموضوع أيضاً كلام وفود قريش على سيف بن ذي يزن ، وحديث عبد المطلب بن هاشم ، وحديث عبد المسيح بن نفيلة مع خاله سبطيح ، وحديث خنّافر الحميري مع رثيته شُصار^(٢) فإن هذه الأحاديث أعرق قول في الاختلاق . والدليل على ذلك علمي

(١) النجاج : التكبر الفختر بما ليس منه

(٢) رثيه : تابعه من الجن (شعار) : اسم جنس

عقل فليرجع إلى كتاب العقد والأمالى من أحب وليتأمل ذلك بين العقل ، ولا يسألنا سرد الأدلة فالوقت حرج ، واللييب تكفيه المححة الدالة^(١) ، و (من لا يعرف الوحي (الإشارة) أحمق) «

ثم جاء عالم من علماء القاهرة مشهور فأيد في مصنف له القول في اختلاق تلك الحكاية ، حكاية الوفود . ولن يضير — إن شاء الله تعالى — تلك الأخبار من الوجهة اللغوية والأدبية ضائر . ومما يسر أنها لفتت والعربية بليغة فصيحة صحيحة قوية . وإن خيل أن أولئك الصواغين أو الصياغين قد أحفظوا طلاب الحقائق التاريخية بما وضعوا ، فقد أحسنوا بما صنعوا ، إذ خدموا — والحق يقال — لفنة (الكتاب) وهل كان لنا هذا التراث ، هذه الثروة اللغوية الثمينة لولا تلك المصوغات المزخرفات ؟ وإنما لموقفون أن القوم ما قصدوا في كثير مما لفقوا إساءة و « إنما الأعمال بالنيات »^(٢) وإن أساءوا وأحسنوا ف « إن الحسنات يذهبن السيئات »

وبعد فمن مبدع ذلك الخبر ؟

ابن عبد ربه وصاحب (تحفة الأخلاء) ثقلة . وقد روى ياقوت في سيرة (الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي) أن من تصانيفه كتاب وفود النعمان على كسرى فهل صاحب هذا الكتاب هو « الصائغ » الحسن ؟

قال الذهبي في (الميزان) : الزبير بن بكار الإمام صاحب النسب^(٣) ، كان ثقة من أوعية العلم ، لا يلتفت إلى قول أحمد بن علي السليمانى حيث ذكره في عداد من يضع الحديث ، وقال صرة : منكر الحديث

(١) يعد بعضهم مثل هذه الأخبار من دلائل النبوة لا فيها من الأعلام بالهيئة القدسة قبل ظهورها ، وقد سلكت هذه الطريقة في القول يومئذ ثم جازت بما جازت به في مؤلفاتي ومقالاتي في هذه المجلة وغيرها
(٢) وإنما لكل امرئ ما نوى هذا من الأحاديث التي سمعت عند الإمام أبي حنيفة ، ومقدارها معلوم . وقد ذكره ابن خلدون في المقدمة
(٣) كتاب أنساب قريش وقد جمع فيه شيئاً كثيراً ، وعليه اعتماد الناس في معرفة نسب القرشيين (ابن خلدون)